IRAQI Academic Scientific Journals

العراقية المجلات الأكاديمية العلمية

JORNAL OF LANGUAGE STUDIES

ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)

Journal of Language Studies

Contents available at: http://jls.tu.edu.iq

Elegy in Al-Khansa's poetry: A Study of contrast

Asst. Prof. Ibrahim Salih Idris Abu Bakr*

Prof. Mohammed Ahmad Al_Amin

College of Education: Al-Hasahisa, Dept. of Arabic and Islamic Studies, Al-Jazeera University_ Sudan

Email– ibrahemsalh200@gmail.com

Keywords:

Elegy
Contract
Style
Pre_Islam
Islam

Article Info

Article history:

-Received:12/8/2019

-Accepted: 20/8/2019

Abstract: this paper: "Lamentations in Al-Khansa's poetry: A Study in Contrast" is an attempt to define *Ratha'* (elegy) and to understand the rhetorical style of contrast in Al-Khansa's elegies for those who had strong bonds of kinship with her. Using the descriptive and psycho-analytical method.

The study begins with an introduction about "elegy" according to poets, writers and critics followed by an attempt to explore contrast in Al-Khansa's poetry and then a critical analysis of her use of contrast in her elegies. The study reached at some conclusions such as the diversity of Al-Khansa's elegies and her view of death as an enemy and

* * **Corresponding Author**: Asst.Prof. Ibrahim Salih Idris Abu Bakr**, E-Mail:** ibrahemsalh200@gmail.com **,Tel: 00249117747966 , Affiliation** :Dept. of Arabic and Islamic studies , Al-Jazeera University_ **Sudan**

Available online 10/10/2019	not as something related to fate and destiny. .

الرثاء في شعر الخنساء قراءة في التضاد

ا.م ابراهيم صالح ادريس ابوبكر/كلية التربية الحصاحيصا/ قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية/ جامعة الجزيرة – السودان

ا.د. محمد أحمد الأمين /كلية التربية الحصاحيصا/ قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية/جامعة الجزيرة– السودان

الكلمات الدالة: -

- الرثاء

-التضاد

- الأسلوب

- الجاهلية

-الاسلام

معلومات البحث

تاريخ البحث :

-الاستلام :2019/8/12

-القبول :2019/8/20

-التوفر على الانترنت : 2019/10/10

الخلاصة: جاءت هذه الدراسة ((الرثاء في شعر الخنساء قراءة في التضاد)) محاولة تحليل أسلوب التضاد في رثاء من جمعت بينها وبينهم وشائج القرابة؛ التي جعلت الصدق ولوعة الحزن سمة رثائها، محاولةً تفهم طريقة التعبير عن مشاعرها الذي جاء في أسلوب التضاد ، حاملاً نظرتها للحياة والموت. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي النفسي . توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: تنوع رثاء الخنساء بين كثرة حديث القلب الصادق المنفعل بعاطفة جياشة، وقل حديث العقل المتجاوز المرثي لتأمل الموت . نظرت الشاعرة للموت لا كأنه قضاء وقدر ينبغي التسليم به، بل هو عدو لا يبقي ولا يذر،حملت الشاعرة التضاد يأسها و نظرتها السوداوية المتشائمة للحياة، أظهر التضاد ذاتية الشاعرة المستلهمة شاعريتها من تجربتها الذاتية المعاشة، وظفت التضاد لمنح المرثي صفات البطل الأمثل، مسخرة الحسيات لإظهار صفاته المعنوية. توصي الدراسة: بتلمس الجوانب الإنسانية في الشعر الجاهلي والإسلامي، والتعرف على الحياة الاجتماعية للعرب ما بين الجاهلية والإسلام من خلال الشعر ؛ فهو ألصق بالوجدان والصدق. الوقوف على قدرة التضاد في خدمة المعنى، دراسة الدلالات اللغوية والنقدية من خلال شعر الخنساء، المقارنة بينها وبين معاصريها من المخضرمين لإظهار أوجه الاتفاق والاختلاف.

مقدمة:

شعر الرثاء من أصدق ضروب الشعر؛ إذ تنعدم فيه المنفعة، ويصنع وفاءً أو إذاعةً لعاطفة صادقة؛ فيغلب عليه النغم الحزين والمشاعر الجياشة المنفلتة من حبال العقل.

هذا الغرض الشعري محتواه تحسر وتوجع وذكر لمحاسن ميت، وتعزية للنفس أو الغير. ويوجه عادة للقلب وقد يلامس العقل إذا لامس نفس الحكمة كالتسليم بالقدر، وقد نال الرثاء عند الخنساء عناية الدارسين؛ فالرثاء كان غرض الخنساء الأكبر.

أهداف الدراسة

1/ معرفة مفهوم الرثاء عند الأدباء والنقاد

2/ الكشف عن صور التضاد ودلالاته في شعر الخنساء

3/ دراسة رثاء الخنساء نقدياً

أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة في أنها تتناول شعر الرثاء عند الخنساء بصورة عامة ثم تطبيق صور التضاد من خلال غرض الرثاء محاولة تعليل انشغال الخنساء بالرثاء دون سواه، متعرفة على أسبابه النفسية بالوقوف عند أسلوب التضاد، مقتربة من نظر الخنساء بمنظار التضاد المتشائم اليائس للحياة والموت.

منهج الدراسة

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي النفسي معراجاً ليصل بها لنتائج تناسب طبيعة البحث، وقد اعتمدت الدراسة على المصادر ذات الصلة بالموضوع من المصادر والمراجع الأدبية النقدية.

هيكل الدراسة قسمت الدراسة الى مبحثين تسبقهما مقدمة وتمهيد وتتلوهما خاتمة بها النتائج والتوصيات، ثم المصادر والمراجع.

تمهيد: الخنساء السليمية:

تُنسب الخنساء إلى عمرو بن الحارث بن الشريد بن رِياح بن يَقظة بن عصية بن خُفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سَليم بن منصور بن عِكرمة بن خصَفة بن قيس بن عيلان بن مضر، واسمها تُماضر[1].

وقيل هي خنساء بنت عمرو بن الشريد بن ثعلبة بن عصية بن خُفاف بن امرئ

القيس بن بهثة بن سليم [2].

والخنساء صحابية جليلة رأت سيدنا رسول الله– صلى الله عليه وسلم–[3]. ولقبت

بالخنساء لخنس كان في أنفها ، وهو أمارة من أمارات جمال المرأة عند العرب[4].

وذكروا أن جمالها قد شد دريد بن الصمة الجشمي الشاعر الفارس، فخطبها لنفسه ولكنها ردته، وآثرت أن تتزوج رجلاً من أبناء عمومتها، فتزوجها رواحة بن عبدالعزى السلمي، فولدت له (عبد الله) وهو شاعر أيضاً ، ولما مات رواحة خلف عليها مِرداس بن أبي عامر السلمي فولدت له : يزيد ومعاوية وعمرًا وعمرة، وجميعهم شعراء[5].

والراجح "إنها وُلدت حوالي منتصف القرن الأول قبل الإسلام، ولقيت النبي– – صلى الله عليه وسلم– في العام الثامن للهجرة، وهي في طلائع شيخوختها، وإنْ يكن حزنها على صخر وعلى السادات من مضر قد هد كيانها، وجعلها تبدو في زيارتها للسيدة عائشة أم المؤمنين، حليقة الرأس تدب على عصا))[6].

و حزنت الخنساء حزنًا شديدًا لفقد أخويها؛ إذ فقدت معاوية أولاً، فحزنت عليه .إلا أن وجود أخيها صخر كان خير عزاءٍ لها، خاصة أن دم معاوية لم يذهب هدرًا؛ فالقوم قد ثأروا له. وهذا ما كان يخّفف من حزن الخنساء، وترى فيه بعض العزاء، حتى إذا مات صخر استعظمت المصيبة، واستفدحت الخطب.[1]

---

1 – الأصفهاني،علي بن الحسين-الأغاني- تحقيق- سمير جابر-دار الفكر- بيروت- الطبعة الثانية- ج15-ص 76.

2-.المرجع السابق- ص 57-58.

3- الخنساء، تُماضر بنت عمرو-ديوانها-شرح حمدو طماس- دار المعرفة- بيروت- الطبعة الثانية- 1425هـ - 2004م- ص5.

4- ابن سيده،أبو الحسن علي بن إسماعيل- المخصص- دار إحياء التراث--بيروت- الطبعة الأولى- 1417هـ 1996م- ج1-ص119.

5- الخنساء- ديوانها-ص 11.

6- العسقلاني،ابن حجر العسقلاني- الإصابة في معرفة الصحابة- تحقيق علي محمد البجاوي- دار النهضة- القاهرة- ج7-ص 613.

ومنذ موت صخر لم تنتفع بحياتها، وعاشت بعده نحو ثلاثين عامًا تبكيه وترثيه، وأبت أن تنزع ثوب الحداد عليه طوال تلك السنين . وقد عانت قبل فجيعتها في صخر من الترمل، ثم بعدها مِحنة ثكل أبنائها. لكن مصابها في صخر كبر عليها وألهاها عن كل المصائب، وأنطقتها بالشعر الحزين، ونأى بها عن العيش الرغيد.

شهدت القادسية ومعها أربعة بنين لها،أوصتهم بالصبر والثبات؛ حتى اسُتشهدوا كلهم فلما بلغها الخبر قالت :الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته[2].

عجيب أمر الخنساء ملأت الدنيا بكاءً على أخويها، وعندما استشهد أبناؤها الأربعة. حمدت الله ودعته أن يجمعها بهم في مستقر رحمة! بلا دمعة واحدة وهي التي زرفت على أخويها بحر دمع. ولا بيت شعر واحد وهي شاعرة النواح ، بل مدرسة في النواح. وتندهش امرأة من جنس النساء من موقفها تقول بنت الشاطئ: ((موقف الخنساء من بنيها مصدره شذوذ في طبيعة تُماضر؛ جعل عاطفة الأخوة فيها تطغى على عاطفة الأمومة التي هي جوهر الأنوثة، والعنصر الأصيل في مقومات الفطرة)) [3].

تجلدها قد يكون بسبب أنها فهمت الإسلام والتزمت به؛ فهو ينهى عن النواح ولطم الخدود وشق الجيوب.

عاصرت الخنساء طائفة من كبار شعراء الجاهلية مثل: الأعشى وسيدنا حسان بن ثابت والنابغة الذبياني. يقول صاحب الأغاني: ((كان يضرب للنابغة قبة أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، فأنشده مرة الأعشى ، ثم حسان بن ثابت ، ثم قوم من الشعراء ، ثم جاءت الخنساء فأنشدته :

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فقال : لولا أن أبا بصير – يعنى الأعشى – أنشدني آنفا لقلت إنك أشعر الأنس والجن)) [4].

---

[1]- إسماعيل القاضي- الخنساء في مرآة عصرها- مطبعة المعارف- بغداد- 1962- ص67.

[2] - الخنساء ديوانها- ص11.

[3] - بنت الشاطئ-عائشة عبد الرحمن-الخنساء-دار المعارف-بيروت- 1975- ص29.

[4]- الأصفهاني- الأغاني-ج9-ص-303.

ويشهد لها الزبيدى على لسان أهل الأدب: ((وأجمعوا على أنه لم تكن امرأة أشعر منها))[1]. ((واتفق أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها. وقيل لجرير من أشعر الناس فقال أنا لولا الخنساء))[2]. قال المبرد : ((كانت الخنساءُ وليلى الأخيلية في أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول ، وقلّما رأيت امرأةً تتقدّم في صناعة ، وإن قلّ ذلك))[3]. وهي عند شوقي ضيف ((أشهر من بكت واستبكت في الجاهلية))[4]. وهي من صاحبات المواهب العالية، ولكن الرثاء حد من طاقاتها الشعرية((موهبتها الشعرية كانت ترشحها ؛ أن تقول الشعر في مختلف فنونه، ولكنها آثرت الرثاء وقصرت فنها عليه))[5].

المبحث الأول:صور الرثاء في شعر الخنساء

مفهوم الرثاء:

الرثاء من أهم الفنون، وأبرز الموضوعات في الشعر العربي عامة، والشعر الجاهلي خاصة؛ وذلك لارتباطه بظاهرة الموت، والموت من الظواهر الإنسانية التي شغلت بال الأدباء والمفكرين والفلاسفة منذ أقدم الأزمنة. والرثاء((تطور عن تعويذات كانت تقال للميت، وعلى قبره حتى يطمئن في لحده، ثم تطور الرثاء عندهم إلى تصوير حزنهم العميق إزاء ما أصابهم به الزمن في فقيدهم))[6].

وهذا ما استقر عليه مفهوم الرثاء بوصفه بكاء الميت والتحسر والتفجع عليه، وذكر محاسنه والتغني بأمجاده وخصاله الحميدة.وهذه المراثي تميزت بصدق اللوعة وحرارة العاطفة ، ولاسيما المراثي التي تقوم على رابطة الرحم والقربى التي تجمع بين الراثي والمرثي، فكلما دنت القرابة بين الشاعر والمرثي ازداد الرثاء حرارة وتفجعاً. ومن هنا عدت المراثي الجاهلية من أجود أشعار العرب وقد وضح ذلك أحد الأعراب حين سئل: ((ما بال المراثي أجود أشعاركم ؟فقال :لأنا نقول وأكبادنا تحترق))[7]. وقال كثير من الباحثين ببراعة المرأة العربية في هذا الميدان، وإجادتها فيه، حتى طغى على أغراضها الشعرية الأخرى .ومما لا شك فيه أن مشاركة المرأة في غرض الرثاء قد أغنى ديوان العرب بهذا اللون الشعري المتميز. وربما كان هذا من طبيعة المرأة الوجدانية بوصفها أكثر ميلاً للحزن والأسى والبكاء، عكس الرجل الذي فرضت عليه الأعراف

[1] - الزبيدي، محمد المرتضى- تاج العروس من جواهر القاموس- دار الهداية- بيروت- مادة(خنس)
[2]- البغدادي، عبد القادر بن عمر- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب- تحقيق محمد نبيل وأميل بديع – دار الكتب العلمية- بيروت- 1998م- ج1- ص 41.
[3]- القيرواني-،إبراهيم بن على- زهر الآداب وثمر الألباب- تحقيق يوسف علي طويل- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى 1417هـ 1997م- ج 1- ص307.
[4] - شوقي ضيف- فنون الأدب العربي- دار المعارف- القاهرة- ج 4- ص 14.
[5] - محمد الحيني- الخنساء شاعرة بني سليم- المؤسسة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- 1993م- ص 224.
[6] - شوقي ضيف- العصر الجاهلي- دار المعارف مصر- الطبعة الثامنة- ص 207.
[7] - الجاحظ، عمرو بن بحر- البيان والتبين- تحقيق فوزي عطوي- دار صعب بيروت- الطبعة الأولى 1968م - ص372.

الاجتماعية أن يتسم بالصبر والتجلد ؛فالعرب كانت تعير من يبكي من الرجال كما أوضح ذلك المهلهل بن ربيعة في قوله:

من الإبلِ[1] يبكى علينا ولا نبكي على أَحد لنحن أغلظ أكبادًا

وعمرو بن معد يكرب في قوله:

وإنا أناس ما تفيض دموعنا على هالك منا وإن قصم الظهرا [2]

ويظهر من قول الشاعرين أن البكاء على الميت أو إظهار الحزن عليه ينقص من قدر الرجال، فهو أخص بالنساء؛ لذا أجدنه شعراً.

عدت الخنساء من أبرز الشواعر العربيات في غرض الرثاء خاصة، والمتأمل في

رثائها يجده يدور في محورين رئيسين **أولهما:** بكاء ونواح وعويل على الميت، ويعرف هذا الضرب في شعر الرثاء بالندب.

وثانيهما: يتخذ شكل الثناء على الميت وذكر فضائله وتعداد محامده ويعرف هذا الضرب ،بالتأبين.ويصعب الفصل بين النوعين فبينهما تداخل ، فقد تبدأ الشاعرة رثائها ببكاء الميت والتحسر والتفجع عليه ، وتنتقل بلا تخلص مبرزة محاسنه، متغنية بمجده وحسن خصاله. ويدخل في الرثاء التفكر في أمر الحياة والموت، ومصير الإنسان ، وضعفه أمام الموت، وما يأتي به الزمان من مصائب، وسموا هذا النوع بالعزاء[3].

صور الرثاء في شعر الخنساء :

الندب:

في مراثي الخنساء يكثر ندب الموتى والنواح والبكاء عليهم، ويبدو في تصاعد مشاعر الراثية وإحساسها بالفجيعة على المرثي، فالمرثي يطغى من خلال مشاعر الراثية، التي تظهر الحزن والأسى والنواح والبكاء؛ وهذا وليد العواطف الداخلية للراثية، إزاء المرثي، وهذا اللون يعكس آثار الصدمة النفسية التي تعانيها

[1]- البغدادي- خزانة الأدب- ج6- ص 37.
[2]- البغدادي،إسماعيل بن القاسم- الأمالي في لغة العرب- دار الكتب العلمية- بيروت- 1398هـ - 1974م- ج1-ص 270.
[3]- يحيى الجبوري- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه- مؤسسة الرسالة- بيروت- الطبعة الرابعة- 1983م- ص311-313.

الشاعرة؛ من جراء فقد أخويها صخر، ومعاوية . ففقدهما ملأ شعرها نواحاً ودمعا. مما جعل مطالع قصائد ديوانها بكائية؛ لتسد حاجتها العاطفية النفسية. ومن هذه المطالع:

قَذىً بِعَينِكِ أَم بِالعَينِ عُوّارُ أَم ذَرَفَت إِذ خَلَت مِن أَهلِها الدارُ

كَأَنَّ عَيني لِذِكراهُ إِذا خَطَرَت فَيضٌ يَسيلُ عَلى الخَدَّينِ مِدرارُ

تَبكي لِصَخرٍ هِيَ العَبرى وَقَد وَلَهَت وَدونَهُ مِن جَديدِ التُربِ أَستارُ[1]

بدأت الخنساء قصيدتها بسؤال بلاغي أي إنها لا تريد جواباً من المستمع فذكرت في سؤالها أسباب قذىً بالعين هي: عوار (وجع بالعين) أو خلاء الدار من أهلها (فقدان عزيز من أهل الدار) وينطبق عليها السبب الثالث فقدان عزيز لكونها فقدت صخر.

وتقول:

ألا يا عَينِ فانهمري بغُدْرِ وفِيضي فَيْضَةً من غيرِ نَزْرِ

ولاَ تعدِي عزاءً بعدَ صخرٍ فقد غُلبَ العزاءُ وعيلَ صَبري

لمرزئةٍ كانَّ الجوفَ منهَا بُعَيدَ النّوْمِ يُشْعَرُ حَرّ جمر[2]

قالت راثية معاوية:

يا عينُ جودي بالدموع المستهلاّتِ السواجمْ

فيضاً كما انخرق الجُمان وجال في سلك النَواظمْ

وابكي معاويةَ الفتى وابنَ الخَضَارِمَةِ القَماقمْ

والحازمَ الباني العُلا في الشاهقاتِ من الدعائمْ

تلقى الجزيلَ عطاؤهُ عند الحقائقِ غيرَ نادمْ [3]

بكاء الخنساء الدائم على أخيها ، جعل دمعها ينضب؛ ولم يعجبها عجز عينها عن البكاء، فزجرتها لبخلها وشحها بالدمع. قائلة:

---

[1] - الخنساء- ديوانها- ص45.

[2]- المصدر السابق- ص43.

3- المصدر السابق- ص109.

أعَيْنِيَ فِيضي ولا تَبْخُلي فإنكِ للـــدّمْعِ لـم تـبْذُلي

وجودي بدمعكِ واستعبري كسَحّ الخَليجِ على الجَدْوَلِ

على خَيرِ من يَندبُ المُعْولونَ والمسَّيدِ الايدِ الأفـــضل [1]

وتبكي قائلة:

يا عَينِ بَكّي على صَخْرٍ لأشْجانِ وهاجِسٍ في ضَميرِ القَلْبِ خَزّانِ

إني ذكرتُ ندى صخرٍ فهيّجني ذكرُ الحبيبِ على سقمٍ وإحزان[2]

وتقول:

ألا يا صَخْرُ إنْ أبكَيتَ عَيني لقَدْ أضْحَكْتَني دَهْراً طَويلا

بَكَيْتُكَ في نِساءٍ مُعْوِلاتٍ وكنتُ احقَّ منْ ابدى العويلا

دَفَعْتُ بكَ الجَليلَ وأنتَ حَيٌّ فمَنْ ذا يَدْفَعُ الخَطْبَ الجَليلا

إذا قَبُحَ البُكاءُ على قَتيلٍ رأيْتُ بُكاءَكَ الحَسَنَ الجَميلا [3]

فقد الخنساء لأخويها مثّل لها فقد الحامي والظهير والولي، وجعلها تشعر بالغربة وهي بين قومها.

يا عَينِ ما لَكِ لا تَبكينَ تَسكابا إذ رابَ دهرٌ وكانَ الدّهرُ ريَّاباَ

فابْكي أخاكِ لأيْتامٍ وأرْمَلَةٍ وابكي أخاك إذا جاورتِ أجنابا [4]

موت أخويها أشعرها بالعجز والهوان، فصارت كطائر مكسور الجناح :

بكَتْ عَيْني وحُقّ لها العَويلُ وهاضَ جَناحيَ الحدَثُ الجليل

فقَدتُ الدّهرَ، كيفَ أكَلَّ رُكني لأقْوامٍ مَوَدّتُهُمْ قَـلـــــيلُ

على نفرهمُ كانوا جناحي عليهمْ حينَ تلقاهمْ قبولُ[5]

وتقول:

---

[1]- الخنساء ديوانها- ص 98..

[2] - المصدر السابق- ص 111.

[3]- المصدر السابق- ص 99.

[4]- المصدر السابق- ص 13.

[5] - المصدر السابق- ص 94.

تَقولُ نِساءٌ: شِبتِ من غيرِ كَبْرَةٍ وأيسر ممَّا قدْ لقيتُ يشيبُ

أقولُ أبا حسّانَ لا العَيشُ طَيّبٌ وَكيفَ وَقدْ أفردتُّ منكَ يطيبُ

فَتى السّنّ كهلُ الحِلمِ لا مُتَسَرّعٌ ولا جامِدٌ جَعدُ اليَدَينِ جَديبُ

أخُو الفَضْلِ لا باغٍ علَيهِ لفَضْلِهِ ولا هُوَ خُرْقٌ في الوُجوهِ قَطوبُ

إذَا ذكرَ النَّاسُ السَّماحَ منِ امرئٍ وأكْرَمَ أوْ قالَ الصّوَابَ خَطيب

ذكرتكَ فاستعبرتُ والصَّدرُ كاظِمٌ عَلَى غصَّةٍ منهَا الفؤادُ يذوبُ

لَعَمْري لَقَد أوَهْيتَ قلبي عن العَزَا وطأطأتَ رأسِي والفؤادُ كئيبُ

لقَدْ قُصِمَتْ مني قَناةٌ صَليبَةٌ ويُقْصَمُ عُودُ النَّبْعِ وهْوَ صَليبُ[1]

تكاثفت مظاهر الخوف والوحدة والانكسار والضعف علي الخنساء بعد فقدها أخويها، وظهرت في مجافاة النوم عينيها تقول:

يا عينُ فِيضي بدَمْعٍ منكِ مِغْزارِ وابكي لصخرٍ بدمعٍ منكِ مدرارِ

إني أرقت فبتُّ اللَّيلَ ساهرةٍ كأنَّما كحلتْ عيني بعوَّارِ

أرعى النُّجومَ وما كلّفتُ رعيتها وتارَةٍ أتَغَشّى فضْلَ أطْمارِي[2]

تعمق شعور الخنساء بالتعاسة والوحدة والذل والحزن؛ بموت صخر ومعاوية.

أيا عينيّ ويحكُما استَهِلاّ بدَمْعٍ غَيرِ مَنزُورٍ وعُلاّ

بدَمْعٍ غيرِ دَمْعِكما وجُودا فقدْ أورثتما حزناً وذلاً [3]

أشركت الشاعرة الطبيعة في مشاعرها ؛ فالحزن على صخر زلزل الأرض ، وأظلم الليل بزوال كواكبه، وكسفت الشمس حزناً على الفقد الجلل.

فَخَرَّ الشّوامِخُ من قَتلِهِ وزُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلزالَها

1- الخنساء- ديوانها- ص 19.
[2]- المصدر السابق - ص 54.
[3] - المصدر السابق- ص 93.

و زالَ الكواكبُ منْ فقدهِ وجُلّلَتِ الشّمْسُ أجْلالـها [1]

وبكت مع الخنساء السيوف والرماح والخيل على فقد أخيها، فكأن لوازم الحرب فقدت من يحارب بها؛ فكانت لها مشاعر إنسانية بكائية.

فيا عينِ بكّي لأمرىءٍ طارَ ذكره لهُ تبكي عينُ الرَّاكضاتِ السَّوابحِ
وَكلُّ طويلِ المتنِ اسمرَ ذابلٍ وَكلُّ عتيقٍ فِي جـــيادِ الصَّفائحِ
وَكلُّ دلاصٍ كالاضاة مذالةٍ وَكلُّ جوادٍ بّين العتـــــقِ قارحِ[2]

التأبين:

في التأبين تظهر صورة المرثي ، محملة بمدحه والثناء عليه، فيما يقترب من المثال ؛ فالمرثي يجمع المحامد عند العرب : كرماً، شجاعة،حلماً، فصاحاً ، جمالاً... مشبهاً أبطال الأساطير.مع عناية بالجانب المعنوي من المجد. تقول:

وإنّ صَخراً لَوالِينا وسيّدُنا وإنّ صَخْراً إذا نَشْتو لَنَحّارُ
وإنّ صَخْراً لمِقْدامٌ إذا رَكِبوا وإنّ صَخْراً إذا جاعوا لَعَقّارُ
وإنّ صَخراً لَتَأتَمّ الهُداةُ بِهِ كَأنّهُ عَلَــمٌ فـي رأسِهِ نـارُ
جلدٌ جميلُ المحيَّا كاملٌ ورعٌ وَللحروبِ غداةُ الرَّوعِ مسعارُ
حَمّالُ ألوِيَةٍ هَبّاطُ أودِيَةٍ شَهّادُ أنْدِيَةٍ للجَيشِ جَرّارُ
نَحّارُ راغِيَةٍ مِلجاءُ طاغِيَةٍ فَكّاكُ عانــِيَةٍ لِلعَظمِ جَبّارُ
فقلتُ لما رأيتُ الدّهرَ ليسَ لَهُ معاتبٌ وحدهُ يسدي وَنيَّارُ
لقدْ نعى ابنُ نهيكٍ لي أخا ثقةٍ كانتْ ترجّمُ عنهُ قبلُ أخبارُ
فبتُّ ساهرةً للنَّجمِ ارقبهُ حتى أتى دونَ غَورِ النّجمِ أستارُ
لم ترَهُ جارَةٌ يمشي بساحَتِها لريبةٍ حينَ يخلِي بيتهُ الجارُ
ولا تراهُ وما في البيتِ يأكلهُ لكنّهُ بارزٌ بالمصّحنِ مهمارُ
ومُطْعِمُ القَوْمِ شَحماً عندَ مَسغبهم وفي الجُدوبِ كريمُ الجَدّ ميسارُ

[1] - المصدر السابق- ص101.
[2]- الخنساء ديوانها - ص 30.

قدْ كانَ خالصتي منْ كلِّ ذي نسبٍ فقدْ أصيب فما للعيشِ أوطارُ
مثلَ الرُّدينيِّ لمْ تنفدْ شبيبتهُ كَأنّهُ تحتَ طَيّ البُرْدِ أُسْوَارُ
جَهْمُ المُحَيّا تُضِيءُ اللّيلَ صورَتُهُ آباؤهُ من طِوالِ السَّمْكِ أحرارُ
مُوَرَّثُ المَجْدِ مَيْمُونٌ نَقيبَتُهُ ضَخْمُ الدّسيعَة في العَزّاءِ مِغوَارُ
فرعٌ لفرعٍ كريمٍ غيرِ مؤتشبٍ جلدُ المريرةِ عندَ الجمعِ فخَّارُ [1]

ترغب الشاعرة في جعل المرثي أنموذجاً لكمال الإنسان حسب مفهومات الجاهلية.

يا عَينِ جودي بِدَمعٍ مِنكِ مِدرارِ جُهدَ العَويلِ كَماءِ الجَدوَلِ الجاري
وَابكي أَخاكِ وَلا تَنسَي شَمائِلَهُ وَابكي أَخاكِ شُجاعاً غَيرَ خَوّارِ
وَابكي أَخاكِ لِأَيتامٍ وَأَرمَلَةٍ وَابكي أَخاكِ لِحَقِّ الضَيفِ وَالجارِ
جَمٌّ فَواضِلُهُ تندى أَنامِلُهُ كَالبَدرِ يَجلو وَلا يَخفى عَلى الساري
رَدّادُ عارِيَةٍ فَكّاكُ عانِيَةٍ كَضَيغَمٍ باسِلٍ لِلقَرنِ هَصّارِ
جَوّابُ أَودِيَةٍ حَمّالُ أَلوِيَةٍ سَمحُ اليَدَينِ جَوادٌ غَيرُ مِقتارِ [1]

وقولها:

أغَرُّ أزْهَرُ مِثْلُ البَدرِ صُورَتُهُ صافٍ عَتيقٌ فما في وَجهِهِ نَدَبُ
يا فارِسَ الخَيْلِ إذْ شُدّتْ رَحائِلُها ومُطعِمَ الجُوّعِ الهَلْكَى إذا سغبوا
كمْ منْ ضرائكَ هلاَّكٍ وأرملة حلُّوا لديكَ فزالتْ عنهمُ الكربُ
سَقْياً لقَبرِكَ من قَبرٍ ولا بَرِحَتْ جودُ الرَّواعدِ تسقيهِ وَ تحتلبُ
ماذَا تضمَّنَ منْ جودٍ ومنْ كرمٍ ومنْ خلائقَ مَا فيهنَّ مُقتضبُ[2]

صخر في نظر الخنساء ليس فقداً شخصياً لها، بل هو فقد قبيلة بكاملها تقول الشاعرة:

[1]- الخنساء- ديوانها ص46-47.
[2]- المصدر السابق - ص17

أنت المهنَّدُ منْ سليمٍ في العلَى والفَرْعُ لم يسبِ الكِرامَ بمشهَدِ
قدْ كنتَ حصناً للعشيرة كلّهاَ وَخطيبهَا عندَ الهمامِ الأصيدِ[1]

وتقول:

يا صَخرُ مَن لطِرَادِ الخَيلِ إذ وُزِعتْ وللمطايا اذا يشددنَ بالكورِ
ولليَتامَى وللأضيافِ إنْ طَرَقوا أبياتنا لفَعالٍ منكَ مَخْبورِ
ومَنْ لكُرْبةِ عانٍ في الوثاقِ، ومَنْ يعطي الجزيلَ على عسرٍ وميسورِ
وَمَنْ لِطَعْنَةِ حِلْسٍ أوْ لهاتِفَةٍ يوْمَ الصّيَاحِ بفُرْسانٍ مُغاوير[2]

وتقول:

وكانَ ثمالَ الحيِّ في كلِّ أزمةٍ وعِصْمَتَهُمْ والفارِسَ المُتَغَشِّمَا
ويَنْهَضُ للعُلْيا إذا الحَرْبُ شمّرَتْ فيطفئها قهراً وانْ شاءَ أضرما[3]

موت صخر عنى للشاعرة موت الفضائل والمكرمات؛ فنُعت الفضائل بنعي صخر. ونعت الشاعرة نفسها؛ فبموت صخر صارت كميتة بقلة حيلتها:

دَقّ عَظْمي وهاضَ مني جَناحي هُلْكُ صَخْرٍ فَما أُطِيقُ براحا
مَن لِضَيْفٍ يحلّ بالحيّ عانٍ بَعْدَ صَخْرٍ إذا دَعاهُ صُياحا
وَعليهِ أرامل الحيّ وَالسَّفْرُ وَمُعْتَرُّهُمْ بهِ قدْ ألاحا
وعطايَا يهزُّها بسماحٍ وطماحٍ لمنْ أراد طماحَا
ظفرٌ بالأمور جلدٌ نجيبٌ وإذا ما سَما لحربٍ اباحَا
وبحِلْمٍ إذا الجَهُولُ اعْتَراهُ يردعُ الجهلَ بعدَما قدْ اشاحَا

[1] - المصدر السابق- ص 39..
[2]- المصدر السابق - ص 39.
[5]- المصدر السابق- ص 108.

إنني قدْ علمتُ وجدكَ بالحمدِ وإطلاقك العناة سماحَا
فارسٌ يضربُ الكتيبة بالسَّيف إذا ازدلف العويلُ الصُّياحا
يقبلُ الطَّعنَ للنُّحورِ بشزرٍ حينَ يسمو حتَّى يلينَ الجراحَا
مقبلاتٌ حتّى يولّينَ عنهُ مدبراتٍ وَمَا يرذنَ كفاحَا
كمْ طريدٍ قدْ سكَّنَ الجأشَ منهُ كان يَدْعُو بصفّهنّ صُراحا
فارِسُ الحَرْبِ والمُعَمَّمُ فيها مدرهُ الحربِ حينَ يلقى نطاحَا [1]

وتقول:

يا صَخْرُ قد كُنتَ بَدراً يُستَضاءُ به فقدْ ثوى يومَ متَّ المجدُ وَالجودُ[2]

كأن الشاعرة تريد أن تنحت تمثالاً من الشعر؛يحمل صفات الكمال البشري عوضاً معنوياً عن وجود المرثي الجسدي[3].

نسمع الشاعرة تخاطب صخرً وقومها معه محرضة على إدراك ثأر معاوية، فالحث على طلب الثأر يعد من أغراض الرثاء كما يظهر في قول الخنساء الآتي:

ولا أُسالِمُ قَوْماً كنتَ حَرْبَهُمُ حتى تعودَ بياضاً جؤنةُ القارِ
ابلغْ سليماً وعوفاً انْ لقيتهمُ عمِيمَةً من نِداءٍ غيرِ إسرارِ
أعني الذينَ إليْهِمْ كانَ منزلُهُ هل تَعرِفونَ ذمامَ الضّيفِ والجار
لوْ منكمُ كانَ فينا لمْ ينلْ ابداً حتى تُلاقَى أُمُورٌ ذاتُ آثارِ
كأنّ ابنَ عَمّتِكُمْ حقّاً وضَيفَكُمُ فيكمْ فلَمْ تدفعوا عَنْهُ بإخْفارِ
شُدّوا المَآزِرَ حَتّى يُسْتَدَفّ لكُمْ وشَمّرُوا إنّها أيّامُ تَشمارِ
و ابكوا فتى البأسِ وافتهُ منيَّتهُ في كلّ نائِبَةٍ نابَتْ وأقدارِ

[1]- المصدر السابق - ص28-
[2] - المصدر السابق - ص 38.
[3] - شوقي ضيف- الرثاء- دار المعارف- القاهرة- ص55.

لا نَوْمَ حتى تَقودوا الخَيلَ عابِسَةً يَنْبُذْنَ طِرْحاً بمُهْراتٍ وأمْهارِ

اوتحفروا حفرةً فالموتُ مكتنعٌ عِنْدَ البُيوتِ حُصَيناً وابنَ سيّارِ

او ترحضوا عنكمُ عاراً تجلَّلكمْ رَحضَ العَوارِكِ حَيضاً عندَ أطهارِ [1]

العزاء:

مما يدخل في العزاء التفكير في حقيقة الموت والحياة، ونهاية كل الإنسان بالموت، فضلاً عن ما يأتي به الدهر من نكبات؛ فلا يجد الراثي غير الاستسلام أمام جبروت الموت؛ مما يمثل له عزاء وسلوة[1]. ومن عزاء الخنساء لنفسها:

ولوْلا كَثرَةُ الباكينَ حَوْلي على أخوانهمْ لقتلتُ نفسي

ولكنْ لا أزالُ أرى عجولاً وباكيَةً تنوحُ ليَوْمِ نَحْسِ

أراها والهاً تَبكي أخاها عشيَّةً رزئهِ أوْ غبَّ أمس

وما يَبكونَ مثلَ أخي ولكِنْ أعزّي النَّفسَ عنهُ بالتّأسي[2]

فاليومَ أمسيتَ لاَ يرجوكَ ذو أمل لمَا هلكتَ وَحوضُ الموتِ موروُد[3]

وتقول:

فكلُّ حيٍّ صائرٌ للبلى وكلُّ حبلٍ مرَّةً لاندثارْ [4]

وتقول:

مضَى وسنَمضي على إثْرِهِ كذاكَ لكلِّ فتًى مصرعُ [5]

وتقول مواسية نفسها:

---

[4]- المرجع السابق- ص 54.

[2]- الخنساء- ديوانها - ص72..

[3] - - المصدر السابق، ص 39.

[4] - المصدر السابق. 62.

[5]- المصدر السابق- ص 78.

وَقَافِيَةٍ مثل حَدِّ السّنَانِ تَبْقَى وَيذْهَبُ مَنْ قالَهَا [1]

وتقول:

لا خَيرَ في عَيشٍ وإنْ سَرّنا والدَّهرُ لا تبقى لهُ باقية [2]

وتقول:

لا تكْذِبَنّ فإنّ المَوْتَ مخْتَرِمٌ كلَّ البريّة غيرَ الواحدِ الباقي [3]

وتقول:

كلُّ اِمرِئٍ بِأَثافي الدَهرِ مَرجومُ وَكُلُّ بَيتٍ طَويلِ السَمكِ مَهدومُ
لا سوقَةٌ منهُمُ يبقى وَلا مَلِكٌ مِمّن تمَلّكَهُ الأَحرارُ وَالرومُ
إنَّ الحَوادِثَ لا يَبقى لِنائِبِها إلّا الإلَهُ وَراسي الأَصلِ مَعلومُ [4]

المبحث الثاني: التضاد في شعر الخنساء:

الجمع بين الضدين تعددت تسمياته بين تطبيق و طباق وتضاد كقول القزويني:((المطابقة وتسمى الطباق والتضاد أيضا، وهي الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة))[5].جاعلاً في المطابقة المقابلة.والطباق والمطابقة والتضاد ومجاورة الأضداد. مصطلحات تدل على اللون الذي نعرفه الآن بالطباق أو المطابقة[6]. وعند ابن أبي الأصبع أن الأنواع ثلاثة: الطباق: إذا كانت الألفاظ المتضادة مستعملة في حقائقها. والتكافؤ: إذا كانت الألفاظ المتضادة مستعملة استعمالاً مجازياً.ومركب من طباق وتكافؤ : إذا كان

[5]-المصدر السابق- ص101.
[2] - المصدر السابق ص 122.
[3] - المصدر السابق ص 89.
[4]- الخنساء، ديوانها، ص 105.
[5] - القزويني، جلال الدين أبو عبد الله- الإيضاح في علوم البلاغة- دار إحياء التراث- بيروت- الطبعة الرابعة- 1998م- 317.
[6]- أحمد محمد علي- دراسات في علم البديع- مكتبة الأمانة-القاهرة- الطبعة الأولى 1406هـ- 1986م- ص12.

أحد اللفظين المتضادين حقيقة والآخر مجازاً[1]. والذي عليه العلماء أن الجمع بين المتضادين هو مطابقة أو طباق ولا فرق في كون اللفظين حقيقيين أو مجازيين أو أحدهما حقيقة والآخر مجازاً، ولا فرق بين الضدين والنقيضين، ويكون بين التراكيب المتضادة في معانيها[2] . يقول المدني:((المطابقة هي عند الجمهور الجمع بين المعنى وضده،ومعناها أن يأتلف في اللفظ ما يضاد المعنى، وكأن كل واحد منهما وافق الكلام فسمي طباقا))[3].ويفرق بين طباق المعنى وطباق اللفظ، فطباق المعاني يختص بالمعاني لا بالألفاظ، بعكس طباق اللفظ((أما الطباق المعنوي فهو مقابلة الشيء بضده في المعنى لا في اللفظ))[4]. ومن البلاغيين من قسم وفرع في التضاد في أسلوب أقرب لفهم المناطقة. فالتضاد يجمل الأسلوب ويبرز المعنى. فعبارة التضاد تجمع ما فرقوه بلا طائل.

والذي يدخل في هذا الباب من رثاء الخنساء كثير منه قولها:

وما الحزْمِ في العَزّاءِ والجودِ والنّدَى غَداةَ يُرَى حِلْفَ اليسارَةِ والعُسرِ[5]

بنت الشاعرة رؤيتها على فقد المكارم بفقد صخر في طباق بين الحزم والجود، والعزاء والندى،واليسارة والعسر. لتحقيق مقابلة تبرز كريم صفات المرثي.فهو يحرص على المكارم في كل حال. فلا تفوته سانحة كرم، فهو وفي بعهده وإن جر الوفاء عليه شدة.

وتقول:

تَلْقَى عِيـــــالَهُمُ نَوَافِلُهُ فتُصيبُ ذا المَيْسورِ والعُسْرِ[6]

ويظهر التضاد بين والميسور العسر في مطابقة تؤكد سعة عطاء أخيها، مراعية حسن التقسيم الذي حقق مرادها من شمول العطاء.ويحمل البيت أن الآباء المحاربين لهم نصيب من الغنائم ، ويعود على عيالهم بالعطايا، مما يوحي بأن النصر حليفه.وبهذا الفهم نجد طباقاً بين عيالهم وكبارهم.في البيت السابق. لم تخرج

[1] - ابن أبو الأصبع المصري- تحرير التحبير- تحقيق حفني شرف- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- القاهرة- 1383هـ- ص 113.
[2]- أحمد محمد علي- دراسات في علم البديع- ص14-15.
[6]- المدني، علي صدر الدين- أنوار الربيع في ألوان البديع- تحقيق شاكر هادي-مكتبة النجف- بغداد- 1388هـ -1953م- ج2-ص 31-32.
[4] - المرجع السابق- ص33.
[5]- المدني، علي صدر الدين- أنوار الربيع في ألوان البديع - ص49.
[6]-المرجع السابق ص 52.

الخنساء عن الحديث المقترب من الواقع في بساطة ومباشرة؛ إذ البساطة فيها صدق العاطفة الذي يكون أبلغ من الخيال أحياناً.

ومن توظيف الطباق مدعماً بفنون بلاغية أخرى؛ بغرض تحقيق أهداف معنوية وجمالية في آن واحد في قولها:

ببيضِ الصّفاحِ وسمرِ الرّماحِ فبالبِيضِ ضَرْباً وبالسُّمرِ وَخْزَا
جززنا نواصي فرسانها وكانوا يظنون أن لا تُجزا
وخَيْلٍ تكَدَّسُ بالدّارِعينَ وتحتَ العَجاجَةِ يجمِزْنَ جَمزَا
ومن ظنّ ممّنْ يُلاقي الحروبَ بأنْ لا يصابَ فقدْ ظنَّ عجزا
نَعِفّ ونَعْرِفُ حَقّ القِرَى ونتّخِذُ الحَمْدَ ذُخراً وكَنْزَا
ونَلْبَسُ في الحَرْبِ نَسْجَ الحديد ونَسحبُ في السّلمِ خَزّاً وقَزّا [1]

الخنساء وظفت الطباق بين بيض وسمر، والجناس بين الصفاح والرماح، وطباق الإيجاب بين البيض والسمر، ونلحظ توظيف اللون خادماً لفكرة الشاعرة ، فقد حملت دلالة اللون الأبيض للسيف وما فيه من رمزية القوة والانتصار[2].

ويظهر للباحثان حسن التقسيم في أن هزيمة العدو لا تكون إلاّ بحسن استخدام السلاح، ولكل سلاح وظيفته. وفي البيت الثاني جملت طباق السلب بين جززنا ولا تجز برد الأعجاز على الصدور، وكذلك في البيت الثالث الطباق في ظن أن لا يصاب وظن عجزا، وردت العجز على الصدر. أما في البيت الأخير فحشدت الشاعرة طائفة من البديعيات ففي نلبس ونسحب جناس يصحبه طباق، وبين الحرب والسلام طباق موجب،وكذلك بين نسج الحديد وخزا طباق موجب، في مقابلة تضاد فيها معني الشطر الأول والشطر الثاني.وتكني عن استعدادهم للحرب بلبس الدروع وعن تنعم قومها وقت السلم بلبسهم فاخر الثياب. ويلحظ في البكائية التي تعدد فيها محامد قتلى قومها أن هذه المحامد للقبيلة كلها حيها ومرثيها، فقد تحدثت بلسان جمع المتكلم في (نعف، نتخذ، نلبس،نسحب) .

[1] - الخنساء- ديوانها- ص 69- 70.
[2] - قابل رشيد نافع- صورة البطل في شعر أبي تمام- رسالة ماجستير- جامعة أم القرى- 1434هـ- ص193.

و الشاعرة تفكر في متناقضات الحياة وما فيها من مفارقات قائلةً:

إنّ الزّمانَ وما يفنى لـه عَجَبٌ أبقى لنا ذنباً واستؤصلَ الرّأسُ

أبقى لنا كلَّ مجهولٍ وفجعنا بالحالِمِينَ فَهُمْ هامٌ وأرْماسُ

إن الجديدينِ في طولِ اختلافهما لا يَفْسُدانِ ولكِنْ يفسُدُ النّاسُ

تقابل الشاعرة بين بقاء الذنب واستئصال الرأس، مكنية عن كرام الناس وسادتهم بالرأس، وعن ما لا نفع فيهم بالذنب، وهي كناية بدوية.وكذلك بين أبقى كل مجهول وفجعنا بالحالمين،ونفي فساد الجديدين واثبات فساد الناس. يقوم الدهر على المفارقة ؛ فيبقي ما لا نريد بقاءه، ويأخذ ما نريد بقاءه، والزمان الذي لا يفسد ويفسدا الناس،وختمت الشاعرة القطعة بنفس حكمة ؛ يحمل تبريداً لحرارة انفعال الشاعرة [1].

ترسم الخنساء لأخيها صورة مثلى مستعينة بالمقابلة . وتقول:

ومَنْ لجَليسٍ مُفْحِشٍ لجَليسِهِ عليهِ بجهلٍ جاهداً يتسرَّعُ

ولوْ كنتَ حيًّا كانَ إطفاء جهلهِ بحلمكَ في رفقٍ وحلمكَ أوسع

وكنتُ إذا ما خِفْتُ إرْدافَ عُسرَةٍ أظل لها منْ خيفةٍ أتقنع

دَعَوْتُ لها صَخْرَ الندى فوَجَدْتُهُ لهُ موسرٌ ينفى بهِ العسرُ أجمع[2]

في الأبيات مطابقة بين الجهل والحلم،وبين العسر واليسر ،وبين الأمن والخوف.وظفت الشاعرة أسلوب الاستفهام دلالة على شدة الافتقاد ، مضفية للجهل صفات النار السالبة، في استعارة مكنية. فصخر مثّل الرادع الاجتماعي؛ فهيبة الخلق له تمنع الجاهل من جهله ، وإن لم تمنعه هيبة صخر ؛ فصخر قادر على مداواة جهل الجاهل بحلمه الرفيق المتسع.

[1]- حسني عبد الجليل- البديع في شعر الخنساء بين الإتباع والابتداع- مكتبة الأنجلو – القاهرة-ص 113.
[2]- الخنساء ديوانها- ص77.المفحش: من يرتكب الجنايات قولاً وفعلاً. الإرداف: الإتباع. أتقنع: أتخفى.

يلحظ الباحثان كثرة الالتفات من ضمير الغائب لضمير المخاطب معددة صفات المرثي. ثم انتقلت لضمير المتكلم لتظهر عظم خسارتها الشخصية بفقد المرثي. فصخر عندها أمن من خوف وحاجة.وما يبدو من مبالغة وتهويل يحمد للشاعرة ؛فغرضها التعبير عن حزنها العميق ونقل انفعالها للسامع. وتقابل بين الجهل والحلم في قولها:

فتًى كانَ ذا حِلْمٍ أصيلٍ وتُؤدَةٍ إذا مَا الحبَى منْ طائفِ الجهلِ حلَّت[1]

وفي البيت الآتي جمعت لصخر بين الصفة وضدها حسب الحال، فعند طلب بره جواد حلو الطبع، وهو أيضاً مر معقر إذا لزم الحال:

يجودُ ويحلو حينَ يطلبُ خيرهُ ومُرّاً إذا يَبْغي المرارَةَ مُمْقِرَا[2]

نقلت الشاعرة صفات أخيها المعنوية كالكرم وشدة البأس لنطاق المحسوس بالذائقة، جاعلة له صفة الحلاوة عند جوده، ولا يطاق عند البأس لجمعه المرارة والحموضة معاً.

وجمعت له بين شدة الضر وشدة النفع ،فقد فجعت الخنساء بمن يتصف بالكمال الجاهلي في طباق:

فقَدْ فُجِعْتِ بمَيْمُونٍ نَقيبَتُهُ جَمِّ المــَخارِجِ ضَرّارٍ ونَفّاع [3]

صخر طالع سعد متيمن به، ولكن سعدها ذهب بفجيعتها فيه.وله معرفة وقدرة في تجاوز المصاعب. ويجمع بين ضدين القدرة على النفع والضر، كل في موضعه.

وتقول:

فإنْ كانَ صَخْرُ الجُودِ أصبَحَ ثاوياً فقدْ كانَ في الدُّنيا يضرُّ وينفع

وتقرن الجود بصخر(صخر الجود) فصخر والجود قرينان، فالعبارة أوقع في المدح من غيرها. وتدلل على قدرته بجمعها له بين الضدين في طباق بين الضر والنفع الدائمين حال حياته.

---

[1]- الخنساء ديوانها- ص23- التؤدة: التمهل.

[2]- المصدر السابق ص 57. الممقر: الحامض المر.

[3] - المصدر السابق ص 80. النقيبة: النفس

وتجعل لصخر من صفات المروءة ما يتسع لجميع الناس في طباق بين البؤس والنعيم.

وعدتَّ عليهمْ بعدَ بؤسي بأنعم فكُلّهُمُ تُعْنى بهِ وتُواصِلُه

سعت الشاعرة لجعل صخراً مصدر خير عميم؛ فهو لقومه منبع الخير المعنوي والمادي معاً.وشعر الخنساء صورة آمالها المتلاشية ومشاعرها الملتهبة.

وتجعله محارباً لا نظير له، وبالحرب يكسب المجد، وجعلت للحرب ثوباً يشمر في تشخيص حمل كناية عن شدة هذه الحرب، وجعلت للحرب صفات النار، ولصخر القدرة على الإطفاء قهرا، والإضرام عندما يشاء ؛إذ أن لسفيه أن يشعل حرباً، ولكن الإطفاء يتطلب مقدرات خاصة كحمل الناس على قبول السلم، مستعينة بطاقات المطابقة:

ويَنْهَضُ للعُلْيا إذا الحَرْبُ شمّرَتْ فيطفئها قهراً وانْ شاءَ أضرما

إنه يكمل نقص الآخرين في مساعي الخير؛ فهو جمع بين سماحة خلقه وطيب سيرته،و يجمع بين كف قوية وأخرى دائمة العطاء ، في صورة حملت مفردات من البيئة الرعوية من حلب وندى .وتؤكد على جمعه للمجد في صورة حسية، فكفه وسيلة للإفادة ووسيلة للحسم الضار في جمع بين نقيضين.

سَمْحُ الخَلائِقِ مَحمودٌ شَمائِلُهُ عالي البناءِ إذا ما قَصّرَ الباني[1]

وهو أيضاً:

لـهُ كفٌّ يشدُّ بـها وكفٌّ تـحَلّـبُ مـا يـجِفّ ثرَى نَـداها

لـهُ بسطتا مجدٍ فكفٌ مفيدةٌ وأخرَى بأطْرافِ القَناةِ شُقُورُها [2]

[1] - الخنساء ديوانها- ص113.

[2]- الخنساء ، ديوانها ص 67.

وظفت الشاعرة الكف سبباً في الردع والفتك، والكف نفسها أداة خير، فكفه تحلب للناس لبناً كناية عن حسن عطائه و دوامه، موظفة الكف في مطابقة؛ فكفه سبب في جلب المجد بالكرم، وجلب المجد بالانتصار على العدو.وتظهر القطعة غلبة العاطفة الإنسانية على حساب الفكرة .

الشاعرة جعلت لأخيها خير صفات الفتيان من قوة وفتوة ،وخير صفات الكهول من حكمة ورأى. ويلحظ الالتفات فهو (كهلي) و(فتاها)كأنها أحوج ما تكون لكمال الكهولة. وزوجه احتياجها كمال الفتوة. وطابقت بين صغر السن وحلم الكهول ، إذ أن صفات كل مرحلة عمرية تناقض صفات المرحلة الأخرى.

تقول :

فَتى السّنّ كهلُ الحِلمِ لا مُتَسَرّعٌ ولا جامِدٌ جَعدُ اليَدَينِ جَديبُ [1]

جاعلة له الرزانة ، نافية عنه الجعودة و– هي من صفات الشعر– ليديه كناية عن كرمه. ويعود الحزن بالخنساء لماضي جميل ، يناظره حاضر حزين، في تقابل يظهر في قولها:

ألا يا صَخْرُ إنْ أبكَيتَ عَيني لقَدْ أضْحكتَنَي دَهْراً طَويلا
بَكَيْتُكَ في نِساءٍ مُعْوِلاتٍ و كنتُ أحق منْ أبدى العويلا
دَفَعْتُ بكَ الجَليلَ وأنتَ حَيٌّ فمَنْ ذا يَدْفَعُ الخَطْبَ الجَليلا
إذا قَبُحَ البُكاءُ على قَتيلٍ رأيْتُ بُكاءَكَ الحَسَنَ الجَميلا[2]

طابقت الشاعرة بين أبكيت عيني وأضحكتني زمناً طويلاً ،في تضاد بين سعادة الأمس وحزن اليوم المتمثل في البكاء.وكذلك دفعت بك الخطب الجليل ، فمن يدفع الخطب الجليلا، مقابل الاستفهام النافي للدفع. وأنت حي يقابلها تقدير وأنت ميت.قبح البكاء وبين الحسن الجميلا فقد جعلت من للبكاء القبيح أصلاً،حسناً وجمالاً. واحتاجت للجمع بين الحسن والجمال معاً، وجعلت القبح واحداً فقبح البكاء مسلم به. وحسنه يحتاج معاضدة. وتجعل من أسلوب النداء معيناً للطباق في تصوير مصيبتها بفقد صخر:

[1]- المصدر السابق ص19.
[2] - المصدر السابق ص 99.

ألا يا عَينُ وَيْحَكِ أسْعِديني فقد عَظُمَتْ مُصيبَتُهُ وجلّتْ

مصيبتهُ عليَّ وَروَّعتني فقَدْ خَصّتْ مصيبَتُهُ وعَمّت[1]

تزجر عينها التي كفت عن الدمع، بعبارة ويحك،التي تحمل أن الإسعاد يكون بالبكاء، وهو أمر غريب فالبكاء حزن يناقض الإسعاد، إلاّ إذا أرادت تفريغ الحزن بالبكاء. فطابقت بين الخصوص والعموم وتستغرب توقف عينها عن البكاء، فالمصيبة العظيمة الجليلة تستحق دمعاً عظيماً لا ينقطع. حديث الخنساء الذي بين يدينا يشعرك أن موت صخر كانت للخنساء نهاية الحياة. فمن مواقف الحياة ما يسبب الحزن، وأصحاء الناس يتعاملون مع الحزن بم لا يعيق حياتهم. أما من يستسلم للحزن الدائم؛ فهو يعاني من اكتئاب مرضي من أعراصه: الحزن المستمر، فقدان الأمل، الإحساس بالذنب ، وفقدان القيمة [2]

وتعظم مصيبتها في صخر في مطابقة يحملها قولها :

فلمْ أرَ مثلهُ رزءًا لجنٍ ولم أرَ مِثْلَهُ رُزْءاً لإنْسِ

يُذَكّرُني طُلُوعُ الشمسِ صَخراً وأذكرُهُ لكلّ غُروبِ شَمْس[3]

تريد أنها لم تسمع بمصيبة كمصيبتها عند الإنس أو الجن. ويستدل على عموم الحزن و دوامه بحزن الجن والإنس عليه معاً وتذكره باكية عند طلوع الشمس وغروبها، فطلوع الشمس يذكرها بذهابه للغزو ، وغروب الشمس موعد رواحه ومعه الغنائم، وقرى الأضياف.في مطابقة بين جنسين كل منهما يحمل صفات مناقضة للآخر ، وكذلك الطباق بين طلوع الشمس غروبها.وكررت لفظ مصيبة زيادة في التفجع والتألم. وتجعل الشاعرة الكون كله يشاركها حزنها على صخر في تطابق يظهره قولها:

والشَّمسُ كاسفةٌ لمهلكهِ ومَا اتّسَقَ القَمَرْ

والإنس تبكي ولَّهاً والجنُّ تسعدُ منْ سمرْ

والوَحشُ تَبْكي شجْوَها لما أتى عنهُ الخبرْ

المِدْرَهُ الفَيّاضُ يحمِلُ عَنْ عَشيرَتِهِ الكِبَرْ

[1] - الخنساء ديوانها- ص 24..

[2]-هناء الحمادي- قوة الإرادة والتصالح مع الذات- جريدة الإتحاد- أبوظبي-24 من شعبان 1436هـ -11من يونيو 2015م- ص9.

[3]- الخنساء ديوانها ص 72 .

يعطي الجزيلَ ولا يمنُّ ولـيسَ شيمتـهُ الـعسر[1]

فالنهار والليل شاركا الشاعرة حزنها فآية النهر كاسفة ، وآية الليل القمر لم تتسق، في طباق حمل دلالة الوقت كله،ويفهم أن جميع البشر تبكى ولهاً على صخر،وأن الجن لم تنم عن شغل بموت من يرعبها سعيدة بالخبر.فضلاً عن أن الوحش تركت توحشها وعمتها مشاعر إنسانية بالبكاء. وعللت للحزن العميم بأن المرثي زعيم قومه الذي يحمل عنهم المصائب الكبيرة ويعطي بلا من . فالمتقابلات السابقات لفظاً ومعنى حزنت لفارق لصخر، ليس مشاركة للخنساء ؛ بل لأن فقد صخر جلب لها حزناً مبرراً. والتضخيم والتهويل الذي يكاد أن يصل لحيز أبطال الأساطير؛ الغرض منه تكبير صورة المرثي.فالحزن تساوى عند جميع المخلوقات ؛ التي تساوت في النيل من خير المرثي.فقد تحولت القيمة الشخصية للبطل لقيمة جماعية.

خاتمة:

الحمد لله بدءً وختماً والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين أما بعد:

تناولت الدراسة التضاد من خلال شعر الرثاء عند الخنساء، **و**ما ظهر من دراسة التضاد في ديوان الخنساء النتائج الآتية: تنوع رثاء الخنساء بين كثرة حديث القلب الصادق المنفعل بعاطفة جياشة، وقل حديث العقل المتجاوز المرثي لتأمل الموت . نظرت الشاعرة للموت لا كأنه قضاء وقدر ينبغي التسليم به، بل هو عدو لا يبقي ولا يذر .تكاثفت العبارات الدالة على الموت الذي هيمن على فكر الشاعرة، وعمق إحساسها باليأس والتشاؤم والفناء. التضخيم والمبالغة لشخص المرثي، وآثار فقده من سمات الشعر العاطفي لا سيما شعر الرثاء.أبرزت الشاعرة قيم المرثي الخلقية من خلال الصفات الحسية.البكاء عند الخنساء يعادل الحزن والألم والتعاسة والكآبة. التضاد في رثاء الشاعرة جاء من تجربة ذاتية ، عمل التضاد في إبرازها. فارق قلب الخنساء الشعور بالارتياح بعد مقتل معاوية وتعمق بموت صخر، مع إصرارها على استدامة البكاء عليهما

[1]- المصدر السابق ص 57.

ومغالبة النسيان؛ مما يؤكد معاناتها من الاكتئاب.توصى الدراسة بتلمس الجوانب الإنسانية الجاهلية من شعر الرثاء؛ فهو أقرب للصدق،وألصق بالعواطف.إظهار قدرة التضاد في خدمة المعنى، دراسة الدلالات اللغوية والنقدية من خلال شعر الخنساء، المقارنة بينها وبين معاصريها من المخضرمين لإظهار أوجه الاتفاق والاختلاف.

المصادر والمراجع:

1- أحمد محمد علي- دراسات في علم البديع- مكتبة الأمانة-القاهرة- الطبعة الأولى 1406هـ- 1986م.

2- إسماعيل القاضي- الخنساء في مرآة عصرها- مطبعة المعارف- بغداد- 1962.

3- ابن أبو الأصبع المصري- تحرير التحبير- تحقيق حفني شرف- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- القاهرة- 1383هـ.

4- الأصفهاني،علي بن الحسين-الأغاني- تحقيق- سمير جابر-دار الفكر- بيروت- الطبعة الثانية- ج15.

5- البغدادي، عبد القادر بن عمر- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب- تحقيق محمد نبيل وأميل بديع – دار الكتب العلمية- بيروت- 1998م- ج1.

6- بنت الشاطئ-عائشة عبدالرحمن- الخنساء- دارالمعارف- بيروت- 1975.

7- الجاحظ، عمرو بن بحر- البيان والتبين- تحقيق فوزي عطوي- دار صعب بيروت- الطبعة الأولى 1968م.

8- حسني عبد الجليل- البديع في شعر الخنساء بين الإتباع والابتداع- مكتبة الأنجلو – القاهرة.

9- الخنساء، تُماضر بنت عمرو- ديوانها-شرح حمدو طماس- دار المعرفة- بيروت- الطبعة الثانية- 1425هـ – 2004م.

10- الزبيدي، محمد المرتضى- تاج العروس من جواهر القاموس- دار الهداية- بيروت- مادة(خنس).

11- ابن سيده،أبو الحسن علي بن إسماعيل- المخصص- دار إحياء التراث- بيروت- الطبعة الأولى- 1417هـ 1996م- ج1.

شوقي ضيف

12- شوقي ضيف، فنون الأدب العربي- دار المعارف- القاهرة- ج 4.

13- شوقي ضيف العصر الجاهلي- دار المعارف مصر- الطبعة الثامنة.

14- العسقلاني، ابن حجر أحمد بن علي - الإصابة في تمييز الصحابة- تحقيق علي محمد البجاوي، دار النهضة - القاهرة، ج 7.

15- القيرواني-،إبراهيم بن على- زهر الآداب وثمر الألباب- تحقيق يوسف علي طويل- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولي 1417هـ 1997م- ج 1.

16- قابل رشيد نافع- صورة البطل في شعر أبي تمام- رسالة ماجستير- جامعة أم القرى- 1434هـ-.

17- القزويني، جلال الدين أبو عبد الله- الإيضاح في علوم البلاغة- دار إحياء التراث- بيروت- الطبعة الرابعة- 1998م.

18- محمد الحيني- الخنساء شاعرة بني سليم- المؤسسة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- 1993م.

19- المدني، علي صدر الدين- أنوار الربيع في ألوان البديع- تحقيق شاكر هادي-مكتبة النجف- بغداد- 1388هـ - 1953م- ج2.

20- هناء الحمادي- قوة الإرادة والتصالح مع الذات- جريدة الإتحاد- أبوظبي-24 من شعبان 1436هـ -11من يونيو 2015م.

21- يحيى الجبوري- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه- مؤسسة الرسالة- بيروت- الطبعة الرابعة- 1983م.